مثلّث اوروبا «رباعي» الاضلاع

لا يزال المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط بدون تعريف محدّد ومتفق عليه من الاطراف المعنيّة كافة. ويجوز تصويره «كبالون مطاطي»؛ فهناك مَنْ يسعى الى تنفيسه؛ وآخر يريد نفخه الى درجة الانفجار؛ وثالث يضغط على جوانبه ليشكّله كما يشاء هواه السياسي.

وخلال الشهر الماضي، برزت، ضمن التطور السابق للمؤتمر، احداث عدة استمدت اهميتها من كونها انطلقت، زمنياً، في الشهر الاول من العام الجديد، ممّا يعني انها ستشكل، بصورة أو بأخرى، عتبات المشاوير الدبلوماسية لاختلاف الاطراف، ومنها الطرف الاوروبي.

وبالفعل، فقد شهدت الساحة الشرق أوسطية تحرّكاً دبلوماسياً اوروبياً، وان اتّسم، حتى اللحظة، بالحذر الشديد، الاّ ان أقل ما يقال عنه انه نشط في الاتجاهات كافة. فبعد زيارة رئيس البرلمان الاوروبي، اللورد بلامب، الى كل من اسرائيل والاردن، وبعد لقاء وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية، وليام وولدغريف، برئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. في تونس، ووجود وفد من الجمعية البرلمانية للمجلس الاوروبي في المنطقة، وزيارة وزيري الخارجية، الاسباني فرنشيسكو فرناندیز اوردونیز والفرنسي رولان دوما، الى تل ـ ابيب، واجتماع الاخير ببعض الشخصيات الفلسطينية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، اجتمع عرفات، في العاصمة اليونانية، برئيس الوزراء اليوناني، اندرياس باباندريو، وفي العاصمة الاسبانية بـ «الترويكا» الاوروبية المؤلفة من وزراء خارجية اليونان واسبانيا وفرنسا، حيث تمّ اختيار هذه الدول الثلاث، على أساس ان اليونان هي الرئيس السابق للجماعة، واسبانيا هي الرئيس الحالي، وفرنسا هي الرئيس المقبل، ابتداء من مطلع تموز (يوليو) ١٩٨٩.

في ضوء هذه التحركات، يطرح المراقبون، مرة أخرى، الاسئلة التقليدية التي دأبوا على طرحها منذ ان اختطت الدبلوماسية الاوروبية نهج المقاربة لاتجاهات الحل لأزمة الشرق الاوسط. وهذه الاسئلة لا تنحصر فقط في كيفية تقويم الموقف الاوروبي ازاء عقد المؤتمر الدولي للسلام، أو في ان هذا الموقف هو مجرد «بيانات تعاطف»، ولا يشتمل على تحرك ملموس يستهدف بذل جهود ذات فعالية ما من اجل اقرار السلام في المنطقة، وانما، أيضاً، في المدى الذي بلغه التحرر الاوروبي من القيود الاميركية في حسم التعارضات بينهما في الشرق الاوسط، وفي الكيفية التي يتمّ بها تشغيل آلية التحرّك ذاتها.

وبهدف الوقوف على الميزة الاساسية للموقف الاوروبي، لا بد من الاشارة الى ان عملية السلام في المنطقة تشهد، في آن، تحركين جادّين ومتواصلين. التحرك الاول يقوم به اصحاب القضية أنفسهم، وفي طليعتهم رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. باتجاه بعض دول القارة القديمة، والتحرك الثاني تقوم به دول المجموعة الاوروبية، برئاسة اسبانيا التي عبّر وزير خارجيتها، في حضور حشد صحافي، عن «تبرّمه من جولات الاستطلاع الغربية على المنطقة العربية وضرورة فعل شيء ما قبل حدوث الانهيار الكبير» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٦/١/١٩٨٩). وبالتالي، ربما كانت الميزة الاساسية للموقف الاوروبي هي في انه يحاول الجمع ما بين مساعي الاطراف المختلفة، وكسب الوقت عبر تمديد جولات المبعوثين، «تداركاً للانهيار الكبير»، كما قال اوردونيز. وربما، أيضاً، كان اصدق مثال على ذلك ان عرفات قام بابلاغ الاوروبيين برسالة بصيغة سؤال مفادها «هل تريد اوروبا ان تكون داخل الحدث ؟ من يحضر الحدث يكون حاضراً في المستقبل. هل قررت اوروبا ان تغيّر مسارها ؟» (**اليوم السابع**، باريس، ٢/١/١٩٨٩، ص ١٣). ومن قبيل المصادفات ان يلخّص مسؤول